

﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ
بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر: 20]

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

القضاء بالحق
يوم التلاق مرده
إلى الذي يعلم
خاتمة الأعين وما
تخفي الصدور

بعد أن بيّنت الآية السابقة أنّ الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ ناسب أن تُبيّن هذه الآية أنّ القضاء بالحق في يوم التلاق مرده إلى الذي يعلم ذلك، وأنّ الذين يُعبدون من دونه ليس لهم من الأمر شيء في هذا اليوم ولا في غيره؛ تعظيماً لله، وتخويفاً من الشّرك به، وتحقيراً لمن يُعبدون من دونه وتهويناً⁽¹⁾.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿يَقْضِي﴾: (قضى) أَصْلٌ صَحِيحٌ يُدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ أَمْرٍ وَإِتْقَانِهِ وَإِنْفَادِهِ لِحِجَّتِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَضَلَهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [افضلت: 12]؛ أَي: أَحْكَمَ خَلْقَهُنَّ، وَالْقَضَاءُ: الْحُكْمُ. قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَأَقْضَ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه: 72]؛ أَي: اصْنَعْ وَاحْكَمْ، وَسُمِّيَ الْقَاضِي: قَاضِيًا؛ لِأَنَّهُ يُحْكِمُ الْأَحْكَامَ وَيُنْفِذُهَا⁽²⁾، وَهَذَا هُوَ الْمَعْنَى الْمَقْصُودُ فِي الْآيَةِ.

(2) ﴿بِالْحَقِّ﴾: (حق) أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ يُدُلُّ عَلَى إِحْكَامِ الشَّيْءِ وَصِحَّتِهِ، يُقَالُ: حَقُّ الشَّيْءِ: وَجَبَ، وَالْحَقُّ: نَقِيضُ الْبَاطِلِ⁽³⁾، وَالْحَقُّ: الشَّيْءُ الثَّابِتُ الرَّاسِخُ الْمَتَمَكِّنُ، بِشَرِيعَةٍ صَحِيحَةٍ أَوْ عُرْفٍ عَامٍّ مُسَلَّمٍ، وَقَدْ يُفَسَّرُ بِالْعَدْلِ، وَكُلُّ مَا كَانَ فِي سِيَاقِ حُكْمٍ أَوْ قَضَاءٍ أَوْ فَصْلٍ كَذَلِكَ⁽⁴⁾، وَالْأَخِيرُ هُوَ الْمَعْنَى الْمُرَادُ هُنَا.

(1) أبو حنّان، البحر المحيط: 248/9، وطنطاوي، التفسير الوسيط: 275/12.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (قضى).

(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حق).

(4) محمد جبل، للعجم الاشتقاق: (حقوق).

(3) ﴿دُونَهُ﴾: (دون) أَصْلٌ وَاحِدٌ يُدْلُّ عَلَى الْمَدَانَةِ وَالْمُقَارَبَةِ. يُقَالُ: هَذَا دُونَ ذَاكَ؛ أَيُّ: أَقْرَبُ مِنْهُ، ودون: نقيضٌ فوق⁽¹⁾، والمعنى المحوري: كَوْنُ الشَّيْءِ مَنْخَفِضًا فِي أَسْفَلِ شَيْءٍ، ويقال للقاصر عن الشَّيْءِ: دون، وقوله تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّنْ دُونِكُمْ﴾ [آل عمران: 118]؛ أَي: مِمَّنْ لَمْ تَبْلُغْ مَنْزِلَتَهُ مَنْزِلَتَكُمْ فِي الدِّيَانَةِ، ويستعمل بمعنى (غير)، كقوله تعالى: ﴿ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: 116]؛ أَي: غير الله⁽²⁾.

✽ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

تُبَيِّنُ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْضِي بَيْنَ عِبَادِهِ قَضَاءً مُلْتَبَسًا بِالْحَقِّ الَّذِي لَا يَحُومُ حَوْلَهُ بَاطِلٌ، وَأَنَّ الْآلِهَةَ الَّتِي يَعْبُدُهَا الْكَفَّارُ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ أَصْلًا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْئًا، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ، فَهَمْ أَعْجَزُ وَأَتَفَهُ مِنْ أَنْ يُلْتَفِتَ إِلَيْهِمْ، ثُمَّ تُؤَكِّدُ الْآيَةُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ السَّمِيعُ لِكُلِّ شَيْءٍ، الْبَصِيرُ بِكُلِّ شَيْءٍ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ⁽³⁾.

✽ الْإِبْضَاحُ اللَّغَوِيُّ وَالْبَلَاغِيُّ:

معنى الواو في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾:

الواو في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ يمكن أن تكون لعطف ما بعدها على ما سبقها؛ استكمالاً لما يتعلّق بيوم التَّلَاقِ، والذي منه أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحَاسِبُ النَّاسَ عَلَى أَعْمَالِهِمُ الْخَافِيَةِ وَالظَّاهِرَةِ، وَيَقْضِي بَيْنَهُمْ فِيهَا قَضَاءً عَادِلًا مُلْتَبَسًا بِالْحَقِّ الَّذِي لَا يَشُوبُهُ أَدْنَى بَاطِلٍ. ويجوز أن تكون الواو للحال والجملة بعدها حالية⁽⁴⁾، تدلّ على أَنَّ حَالِ اللَّهَ تَعَالَى

الله تعالى
يقضي بالحق
لأنه السميع
البصير، وغيره
ليس كذلك

علم الله تعالى
خائنة الأعين
وما تخفي
الصدور يؤكّد أنّ
قضائه لا يكون
إلا بالحق

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة، والزّاغب، للفردات: (دون).

(2) محمد جبل، المعجم الاشتقاقي: (دون).

(3) طنطاوي، التفسير الوسيط: 12 / 276.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 33 / 17.

الدائمة التي لا تتبدل ولا تتغير في الدنيا ولا في الآخرة أنه يقضي بالحق والعدل بين خلقه جميعاً. ويمكن كذلك أن تكون الواو استئنافية، جيء بها للتنبيه إلى أن عِلْمَ الله تعالى خاتمة الأعين وما تخفي الصدور يؤكد أن قضاءه لا يكون إلا بالحق الذي لا يشوبه باطل أبداً.

نُكْتَةُ إظهار اسم الجلالة بعد إضماره:

كَانَ مُقْتَضَى الظَّاهِرِ أَنْ يُؤْتَى بِجُمْلَةٍ: «يَقْضَى بِالْحَقِّ» مَعْطُوفَةً بِالْوَاوِ عَلَى جُمْلَةٍ: «يَعْلَمُ خَاتِمَةَ الْأَعْيُنِ»، فَيُقَالُ: (ويَقْضَى بِالْحَقِّ)، وَلَكِنَّ النِّظْمَ عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ، فَأُظْهِرَ اسْمَ الْجَلَالَةِ فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ؛ لِأَنَّ فِي الْإِسْمِ الْعِلْمَ لِلَّهِ تَعَالَى مِنَ الْإِشْعَارِ بِمَا يَقْتَضِيهِ الْمُسَمَّى بِهِ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، الَّتِي مِنْهَا الْعَدْلُ فِي الْقَضَاءِ⁽¹⁾.

دلالة تقديم المسند إليه على الفعل:

فِي جُمْلَةٍ: «وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ» قُدِّمَ الْمُسْنَدُ إِلَيْهِ: (اللَّهُ) عَلَى الْخَبَرِ الْفَعْلِيِّ: «يَقْضَى بِالْحَقِّ»؛ لَتَقْوِيَةٍ وَتَأْكِيدٍ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقْضِي بَيْنَ خَلْقِهِ بِالْحَقِّ، كَمَا أَنَّهُ لَا يُؤَاخِذُ النَّاسَ إِلَّا عَلَى مَا صَدَرَ مِنْهُمْ مِنْ أَعْمَالٍ، ظَاهِرَةٌ كَانَتْ أَوْ خَافِيَةً، لِأَنَّهُ سَبْحَانَهُ يَعْلَمُ خَاتِمَةَ أَعْيُنِهِمْ، وَيَعْلَمُ كَذَلِكَ مَا تُخْفِيهِ صُدُورُهُمْ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْهُمْ، وَلَا مِنْ غَيْرِهِمْ.

دلالة التعبير بالفعل المضارع: «يَقْضَى»:

عَبَّرَ النَّظْمُ عَنِ الْمُسْنَدِ بِالْفِعْلِ: «يَقْضَى» مُضَارِعًا، لِأَنَّهُ يُفِيدُهُ بِزَمَانِهِ مِنْ تَجَدُّدِ قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى بِالْحَقِّ فِي كُلِّ شَأْنٍ مِنْ شُؤُونِ خَلْقِهِ، وَعَدَمِ اقْتِصَارِ ذَلِكَ عَلَى أَمْرٍ دُونَ أَمْرٍ، أَوْ حَالٍ دُونَ حَالٍ، وَلِأَنَّهُ يُفِيدُهُ بِنِهَايَةِ الْمُنْتَهَى بِحَرْفِ الْيَاءِ مِنْ أَنَّ قَضَاءَهُ تَعَالَى صَادِرٌ عَنِ عِلْمٍ وَإِدْرَاكِ لِحَقَائِقِ الْخَلْقِ، وَإِحَاطَةٍ بِطَبَائِعِهِمْ وَمَا يَعْتَمَلُ فِي نَفْسِهِمْ، «أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» ﴿١٤﴾ [الملك: 14].

اسم الله العَلَمُ
يُشْعِرُ بِمَا
يَقْتَضِيهِ الْمُسَمَّى
بِهِ مِنْ صِفَاتِ
الْكَمَالِ وَالْجَلَالِ

قضاء الله تعالى
بين خلقه بالحق
أمر مؤكد لا شك
فيه

قضاء الله تعالى
صادر عن علم
وإدراك لطبائع
الخلق، وإحاطة
بما في نفوسهم

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 117/24.

دلالة تجريد الفعل «يَقْضِي» من المهلة والاستقبال:

أفهمت الآية بتجرُّدها من حروف الاستقبال في الفعل «يَقْضِي»
 أَنَّ هذا القضاء حالٌ حاضر، فيدخل فيه كلُّ ما يَعْرضُ من محن
 وشدائد وأهوالٍ ومصائب، كالخوف والجوع والنقص في الأموال
 والأنفس والثمرات، إِذَا فلا أمانَ لأحد أن يُؤخَذَ بجريسته بالعقوبة
 البينة، أو بالاستدراج المخوف؛ فإنَّ معافاة الظلمة ليست إلا إملاءً
 لهم حتَّى يغتالهم الكيدُ الإلهيُّ.

نكتة حذف متعلق «يَقْضِي»:

حُذِفَ متعلق «يَقْضِي»؛ لما يُفيد الحذف من عموم المعنى، وشموله
 كلِّ ما يصدر عن النَّاسِ من أقوال وأفعال، خيرًا كانت أو شرًّا، ظاهرةً
 كانت أو باطنةً، قليلةً كانت أو كثيرةً، سرًّا كانت أو علانيةً.

معنى الباء في «بِالْحَقِّ»:

في قوله تعالى: «وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ» الباء في «بِالْحَقِّ» حرفُ
 جرٍّ، قد يُفيد الإلصاق أو الملازمة، ما يعني: أَنَّ قضاء الله تعالى
 بالحقِّ أمرٌ دائمٌ لا يتغيَّر ولا يتبدَّل، مهما كان الأمر المقضي فيه،
 وأيًا كان الخلقُ المقضي في شأنهم. ويحتمل أن تكون الباء للعوض،
 بمعنى إعطاء كلِّ ذي حقِّ حقه، توفيةً أجورٍ، واقتصاصًا للبعض من
 بعض آخر، حسناتٍ وسيئات، وزيادةً فضلٍ من المولى ﷻ.

معنى (أَل) في «بِالْحَقِّ»:

(أَل) في «بِالْحَقِّ» لتعريف العهد، ما يعني أَنَّ الله تعالى لا يقضي
 إلا بالحقِّ المتعارفِ عليه، الذي هو نقيض الظلم، والذي لا يُماري
 فيه أحدٌ أو يُجادل، "لِأَنَّ الْحَاكِمَ إِذَا كَانَ عَالِمًا بِجَمِيعِ الْأَحْوَالِ، لَا
 يَقْضِي إِلَّا بِالْحَقِّ فِي مَا دَقَّ وَجَلٌ"⁽¹⁾.

لا أمانَ لخائنة
 الأعين وذوي
 الصدور النطوية
 على الشرِّ من
 مكر الله

قضاء الله
 تعالى يشمل
 كلَّ ما يصدر عن
 خلقه من أقوال
 وأفعال

قضاء الله تعالى
 بالحق أمرٌ دائمٌ
 لا يتغيَّر ولا
 يتبدَّل

الله تعالى لا
 يقضي إلا بالحقِّ
 المتعارف على أنه
 نقيض الظلم

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 248 / 9.

معنى الواو في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾:

الْقَزْنَ بَيْنَ
الْأَضْدَادِ يُظْهِرُ
الْحَقَّ مِنَ
الْبَاطِلِ، وَيُمَيِّزُ
الصَّوَابَ مِنَ
الْخَطَا

الواو في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾ لعطف ما بعدها على جملة: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾، جرياً على عادة البيان في القرن بين الحديث عن الله، والحديث عما يعبدهم الظالمون من دونه، لما يمتاز به هذا الأسلوب من إظهار الفوارق بين المتعاطفات، وتمييز الحق من الباطل، والحسن من القبيح. والضدُّ يُظْهِرُ حُسْنَ الضدِّ.

غرض التعبير بالاسم الموصول وصلته:

المشركون
أقاموا آلهتهم
مقام العقلاء،
وأنزلوها
منازلهم

﴿وَالَّذِينَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ اسم موصول في محل رفع مبتدأ، وقوله: ﴿يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ﴾ جملة لا محل لها من الإعراب صلة الموصول، وقوله: ﴿لَا يَقْضُونَ بَشَيْئاً﴾ جملة في محل رفع خبر الموصول، وعبر النظم عن المسند إليه بالاسم الموصول الموضوع للعاقل تهكماً بالمشركون، وازدراءً لهم؛ حيث أقاموا آلهتهم مقام العقلاء، وأنزلوها منازلهم، وليتوصل بما في حيزه من الصلة إلى ذم الظالمين، وبيان مدى تجاوزهم وضلالهم في اتخاذهم آلهة لا تقضي بشيء، ولا تملك من أمر نفسها ولا من أمر من يعبدونها أدنى شيء.

نكتة التعبير بالمضارع ﴿يَدْعُونَ﴾:

الآلهة المزعومة
أعجز من
أن تقضي
للمشركين بأي
شيء

في جملة الصلة عبر البيان الكريم بالفعل ﴿يَدْعُونَ﴾ مضارعاً؛ لما يفيد من تجدد دعوة الكفار الآلهة المزعومة، وإصرارهم على اتخاذها آلهة من دون الله سبحانه، يُزاد على ذلك ما يمتاز به المضارع من استحضار صورة المشركين وهم يعبدون آلهة لا حول لها ولا قوة، ويتوسلون إليها بالدعاء، ويجأرون إليها طالبين العون والمساعدة، في حين أنها أعجز من أن تجيبهم في ذلك بأي شيء.

توجيه القراءات القرآنية في ﴿يَدْعُونَ﴾:

قُرئَ قَوْلُهُ: ﴿يَدْعُونَ﴾ بِأَكْثَرِ مِنْ قِرَاءَةٍ، فَقَرَأَهُ الْجُمْهُورُ: ﴿يَدْعُونَ﴾

بِإِثْمِ الْغِيْبَةِ، جَرِيًّا عَلَى الظَّاهِرِ، وَلِيُنَاسِبَ الْفِعْلُ الضَّمَايِرَ الْغَائِبَةَ قَبْلُ، وَقَرَأَ نَافِعٌ وَهْشَامُ بْنُ ذَكْوَانَ بِخَلْفِهِ: ﴿تَدْعُونَ﴾⁽¹⁾ بَتَاءِ الْخِطَابِ، وَفِيهَا التَّفَاتُ مِنَ الْغِيْبَةِ إِلَى الْخِطَابِ، يُنَبِّهُ الْمُخَاطَبِينَ وَيَقْرَعُ أَسْمَاعَهُمْ⁽²⁾، وَيَحْتُمُّهُمْ عَلَى التَّفَكُّرِ فِي الْآلِهَةِ الَّتِي يَدْعُونَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَيَدْعُوهُمْ لِلتَّأَمُّلِ فِي حَالِهِمْ وَهُمْ يَدْعُونَهَا فَلَا تَسْتَجِيبُ لَهُمْ، عَلَى مَعْنَى: "قُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّد ﷺ: الَّذِينَ تَدْعُونَ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ مِنْ دُونِهِ..."⁽³⁾.

في الالتفات
قرع لأسماع
المُخاطَبين،
وحثهم على
التفكر فيما هم
عليه

معنى ﴿مِنْ﴾ فِي ﴿مِنْ دُونِهِ﴾:

أَفَادَ حَرْفَ ﴿مِنْ﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مِنْ دُونِهِ﴾ الْإِبْتِدَاءَ، أَيْ: ابْتِدَاءَ مِمَّا هُوَ دُونَ اللَّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ الْمُشْرِكِينَ اتَّخَذُوا الْآلِهَةَ لِيَعْبُدُوهَا مِمَّا هِيَ دُونَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ. وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ ﴿مِنْ﴾ بَيَانِيَّةً، تُقِيدُ أَنَّ كُلَّ مَنْ عَبَدَ غَيْرَ اللَّهِ هُوَ (دُونَ اللَّهِ) تَعَالَى عَنِ الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ.

كلُّ ما عُبِدَ مِنْ
دُونِ اللَّهِ تَعَالَى
باطلٌ

نُكْتَةُ اخْتِيَارِ لَفْظِ ﴿دُونِهِ﴾ مُضَافًا إِلَى الضَّمِيرِ:

دَلَّ التَّعْبِيرُ بِقَوْلِهِ: ﴿دُونِهِ﴾ عَلَى أَنَّ كُلَّ مُعْبُودٍ هُوَ دُونَ الْمَعْبُودِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ نَظَرَ الْمُشْرِكِينَ إِنََّّمَا كَانَ لِمَا هُوَ دُونَ اللَّهِ، فَنَظَرُهُمْ قَاصِرٌ، وَفِكْرُهُمْ حَاسِرٌ، وَقَدْ أُضِيفَ إِلَى ضَمِيرِ الْغِيْبَةِ الْعَائِدِ عَلَى اللَّهِ: لِلتَّأَكِيدِ عَلَى أَنَّهَا مَخْلُوقَاتٌ دُونَ عُلُوِّ اللَّهِ تَعَالَى فِي حُكْمِهِ وَقَضَائِهِ وَمُلْكِهِ، وَأَنَّ مَنْ أَرَادَ الرَّفْعَةَ وَالسَّعَادَةَ فِي يَوْمِ التَّلَاقِ، فَلْيَبْتَغِدْ عَنْ طَرِيقِ الدُّوْنِ، وَلْيَتَّجِهْ صَوْبَ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ؛ لِيَنَالَ التَّقْدِيرَ وَالثَّوَابَ.

نَظَرُ الْمُشْرِكِ
قَاصِرٌ، وَفِكْرُهُ
عَنِ بُلُوغِ الْحَقِّ
حَاسِرٌ

فَائِدَةُ اسْتِعْمَالِ أَدَاةِ النَّفْيِ ﴿لَا﴾:

عَبَّرَ النَّظْمُ فِي جُمْلَةِ الْخَبَرِ ﴿لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ بِأَدَاةِ النَّفْيِ ﴿لَا﴾، لِيَشْمَلَ الْحَاضِرَ وَالْمُسْتَقْبَلَ، وَلَوْ قَالَ: (لَمْ يَقْضُوا) لَاقْتَصَرَ عَلَى الْمَاضِي فَقَطْ، وَالْمَرَادُ شُمُولُ الزَّمَانِ كُلِّهِ.

(1) أَبُو حَيَّانَ، الْبَحْرُ لِلْحَيْطِ: 248/9، وَابْنُ الْجَزَرِيِّ، النِّشْرُ: 364/2.

(2) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 118/24.

(3) الْمَكِّي، الْكَشَفُ: 242/2.

دلالة التعبير بالمضارع النفي ﴿لَا يَقْضُونَ﴾:

الآلهة المزعومة
يتجدد عجزها
مع تجدد
التوسل إليها
والطلب منها

عبّر البيان الكريم في جملة الخبر بالفعل النفي ﴿لَا يَقْضُونَ﴾ مضارعاً؛ لما يُفيدُه نفي المضارع من إثبات تجدّد عجز الآلهة المزعومة عن نفع مَنْ يدعونها بشيء، كلّما تجدّد دعاؤهم لها، وتوسّلهم إليها، ونفي قضائها لهم بأيّ شيء، نفيّاً يقطع أملهم في أن يجنوا من وراء عبادتهم لها أيّ عائد، مهما صَغُر مقداره.

معنى الباء، ونكتة التَّنْكِير في قوله: ﴿بِشَيْءٍ﴾:

تأكيد عجز
الآلهة عن
القضاء بأيّ
شيء

الباء في قوله: ﴿بِشَيْءٍ﴾ حرف جرّ يُفيد تأكيد عجز الآلهة التي يعبدوها المشركون من دون الله، عن القضاء بأيّ شيء مطلقاً. وجيء بالاسم المجرور (شَيْءٍ) نكرة، لما يُفيدُه التَّنْكِير الوارد في سياق النفي من عموم نفي القضاء، وشموله لكلّ شيء، سواء أكان صغيراً أم كبيراً، حسيّاً كان أم معنويّاً.

بلاغة المقابلة في الآية:

الجمع بين
المعاني المتقابلة
يوجب عظيم
الخوف من الله
ونبذ ما سواه
تعالى

قابل النظم الكريم في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾ بين ثلاثة معانٍ في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾، وثلاثة ضدها في قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾، وهي مقابلة توجب عظيم الخوف من الله تعالى، لأنّ الحاكم إذا كان عالماً بجميع الأحوال - لا يقضي إلاّ بالحقّ في ما دقّ وجلّ - خافه الخلق غايةً، كما توجب القدح في أصنامهم والتّهكّم بهم، لأنّ ما لا يوصف بالقدرة، لا يُقال فيه يقضي ولا يقضي⁽¹⁾.

فوائد الجُمْل الخبريّة:

قضاء الله
بالحقّ، وعجز
الآلهة عن
القضاء بشيء
من البدهيات
المسلّم بها

آثر النظم القرآني الأسلوب الخبري للتعبير عن المعنى في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ﴾، لما يُفيدُه من ترسيخ المعنى وتثبيتته في أذهان المتلقين، من

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 248 / 9.

خلال إثارته إلى عده خبراً مؤكداً الوقوع، حتمى الحصول، فيُنزَل في نفوسهم منزلة البدهيات التي لا تقبل الجِدال أو المراء، مع أنه خاص بما يكون في يوم التلاق، الذي لما يأت أوانه.

نُكْتة فَضْلِ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾:

جاءت جملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ مفصولة عما قبلها؛ لأنها مُقَرَّرَةٌ لِجَمَلٍ ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ إلى قوله: ﴿لَا يَقْضُونَ شَيْئًا﴾، ما يعني أنها فُصِلت عنها لكمال الاتصال، الذي تستدعي فيه الجملة الأولى الجملة الثانية. ويمكن أن يكون الفصل لشبه كمال الاتصال، الذي تُجيب فيه الجملة الثانية عن سؤال أثارته الجملة السابقة في نفس المُتلقّي عن السبب في أن الله تعالى لا يقضي إلا بالحق، وأن الذين يدعون من دونه لا يقضون بشيء، ومن ثم فُصِلت عنها كما يُفصل السبب عن المُسبَّب.

فائدةُ تَابِعِ لِلوَكَّدَاتِ فِي فَاصِلَةِ الْآيَةِ:

جاءت جملة: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ مؤكدة بـ ﴿إِنَّ﴾ والجملة الاسمية وتوسط ضمير الفصل؛ لِلْمَبَالِغَةِ فِي إثبات السَّمْع والبَصَرِ لله تعالى؛ تقريراً لمعنى: ﴿يَقْضَى بِالْحَقِّ﴾؛ إذ العالم بكل شَيْءٍ "تَتَعَلَّقُ حِكْمَتُهُ بِإِرَادَةِ الْبَاطِلِ بِتَقْدِيرِ وَقُوعِهِ كَوْنًا، وَلَا تَخْطِئُ أَحْكَامُهُ بِالْعِثَارِ فِي الْبَاطِلِ" (1).

بلاغة التعبير بأسلوب القصر:

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ قَصُرَ صفة على موصوف قصراً حقيقياً، طريقه توسيط ضمير الفصل، وتعريفُ رُكني الجملة. وقد أُوثر التعبير به لتقوية وتأکید اتّصاف الله تعالى بصفتي السَّمْع والبصر اللّازمتين للقضاء بالحق، بعد نفيهما عن سواه، لا سيما الآلهة التي يعبدوها المشركون من دونه، ما يعني أن

الله تعالى
لا يقضي إلا
بالحق، والذين
يدعون من دونه
لا يقضون بشيء

العالم بكل
شيء لا تخطئ
أحكامه بالعتار
في الباطل

تأكيد اتّصاف
الله تعالى
بصفتي
السَّمْع والبصر
اللّازمتين للعدل
في القضاء

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24 / 118.

فيه أيضاً تعريضاً بأن "آلِهَتَهُمُ الْمَزْعُومَةُ لَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ، وأنه لا يصحّ منهم أن ينسبوا الإلهيّة إليها"⁽¹⁾، ولا أن يدّعوها من دون الله السميع البصير.

معنى (أل) في «السميع» و«البصير»:

(أل) في «السميع» و«البصير» لتعريف العهد الذهني، المفيد لكمال صفتي السمع والبصر في المولى ﷺ، وعدم بلوغ أحدٍ آخر مبلغه فيهما.

نُكْتَةُ خَتَمِ الآيَةِ الْكَرِيمَةِ بِالْأَسْمَيْنِ الْجَلِيلَيْنِ:

خَتَمُ الآيَةِ بِجُمْلَةٍ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» المشتملة على اسمي «السميع البصير»، يجعلها كالتذييل المؤكّد لما سبقها من أنّ مجازاة الناس يوم التّلاق ستكون بالعدل الذي لا يشوبه شيءٌ من الظُّلم، كما أنّ الحساب فيه سيكون سريعاً لا بُطء معه، وأنّ الله تعالى لن يتقبّل شفاعّة أحدٍ في الظّالمين المعهودين؛ لأنّ قبول الشّفاعّة فيهم ليس من الحقّ الذي يتّسم الله السميع البصير.

فائدة التّذييل
البلاغيّة تأكيد
ما سبقه من
معان

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 24 / 118.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزمر من الآية 73 إلى سورة غافر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447 هـ - 2026 م
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزمر من الآية 73 إلى سورة غافر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51، 822 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك: 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزمر من الآية 73 إلى سورة غافر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ-العنوان ب- مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-642-97-8

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»